

أحاديثُ ليلةِ

آيةِ زينو

الاحاديث ليلية

حوارات قصيرة بين قمر ونجمة

أية فائز زينو

الطبعة الأولى
(إلكترونية)

تنويه

لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذا الكتاب أو نقله بأيّ شكل أو
بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك
التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات
وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من المؤلف .

وقبل البرية يوماً ...

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

[النمل : ١٩]

” هل لديك الجرأة لإخراجها للتور؟ الكنوز الكامنة في داخلك
تأملُ تقولي نعم“

وها هي كلماتي أُخرجها إليكم.....

” وحينَ أكتبُ ليسَ ثمةَ قارئٍ غيركَ ... “^٢

سيمفونية الليل

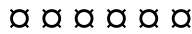
ليلةٌ قمرأُ صيفيَّة، سماءُ مُضيئةٌ بقمرها، قمرٌ اجتمعتُ حولهُ آلافُ
النَّجمات، نجومٌ تناثرتُ بعشوائيَّة، نَسَماتٌ رَطِبة، أشجارٌ لا يوقظُ
أوراقها هواء، وأزهارٌ غطَّتْ في سُباتٍ عميق، صوتُ نُباحِ الكلابِ
الضَّالَّةِ ومُوءِ القِطَطِ الشَّاردةِ في طريقٍ طويلٍ لا نهايةَ له، نَقيقُ
الضَّفادعِ في مُستنقعِ الماء، أزيزُ الصِّراصيرِ الليليَّة، خفافيشُ الظَّلامِ
المُحلِّقة بلا هدف، وبَعوضٌ يُحوِّمُ حولَ ضَوءٍ بُرتقاليٍّ خافت، بيوتُ
نائمةٍ وأخرى مُستيقظة، عشَّاقٌ استحوذتُ العتمةُ على قلوبهم؛ فما
برحوا نوافذهم يرتقبون مرورَ طيفِ المَعشوق، عَساهُ يظهرُ كَشُهْبٍ في
السَّماء! فيُطفئوا ظمأً عيونهم العطشى شوقاً لرؤيته، عندئذٍ فقط
يخلدون إلى النّوم! أشخاصٌ مُتألِّمون حاولوا رشوةَ النّومِ بشتى الطرائق
ليُلبِّهم؛ لكن عبثاً! فمحاولاتهم باءتُ بالفشل فكيفَ ينامُ من استبدَّ

الألمُ به ؟ وآخرينَ ناموا في وقتٍ باكرٍ هرباً من واقعِ أنكِ كيانهم وتفكيرٍ
أتعبَ عقولهم، وحدهم أصدقاء الليلِ والسَّهرِ تفوحُ من نوافذهم رائحةُ
القهوة مع عبقِ دُخانِ سيجارةٍ منسيّةٍ جانباً .

ذكرياتٌ تصحو في هذا الوقتِ المتأخّر فتُحرّضُ الحنينَ في قلوبِ
أصحابها، الحنينُ لأشياءٍ لم تُعد موجودة ولأشخاصٍ يَستحيلُ
وِصالهم، دعواتٌ ترتقي نحو السّماء، وأمانياتٌ خبّأتها النّجومُ في جُعبتها
واحتفظتُ بها على أملٍ أن تتحقّق يوماً...

يقولون عن الليلِ بأنّه هادئٌ، وكيف يكونُ كذلك وفيه يحدثُ كلُّ
هذا ؟

لعلّ هدوءه هذا أشدُّ الأصواتِ صُخباً !..



مِن نَجْمَةٍ إِلَى قَمَرٍ:

"إِنِّي بِالْحَدِيثِ مَعَكَ أَشْعُ؛ فَلَا تَتَوَقَّفَ عَنِ

الكَلامِ لَكَي لَا انطَفِئَ"

آية نرينو

لا تخافي يا فتاتي ..

فالنجوم تكتم الأخبار ..

عَنْ شُعُورِ الْوَحْدَةِ

كَانَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا خُلْسَةً مِنْ بَعِيدٍ، وَيَتَأَمَّلُ شُعَاعَهَا الْخَافِتَ،
هَذِهِ النُّجْمَةُ الَّتِي لَطَالَمَا أَثَارَتْ فَضُولَهُ مِنْ بَيْنِ آلَافِ النُّجُومَاتِ الْمُتَنَاطِرَةِ
حَوْلَهُ فِي السَّمَاءِ، لِمَاذَا هِيَ دُونَهَا عَنْ سِوَاهَا؟ لِمَاذَا رَأَاهَا مُخْتَلِفَةً عَنْ بَقِيَّةِ
النُّجُومَاتِ رُغْمَ أَنَّهَا مِثْلُهُنَّ نَجْمَةٌ؟ مَا السِّرُّ الْكَامِنُ فِيهَا؟ أَيُّ سِحْرِ هَذَا
الَّذِي فِي عَيْنَيْهَا؟ لِمَاذَا تَجْعَلُ مَنْ يَرَاهَا لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى يَدْخُلُ فِي مَتَاهَةٍ لَا
مَخْرَجَ لَهَا؟ وَأَسْئَلُهُ كَثِيرَةً لَيْسَ لَهَا أَجُوبَةٌ، فَمَا جَدْوَى التَّفَكِيرِ بِهَا؟

يَا لِبَسَاطَتِهَا الْمُعَقَّدَةَ، يَا لِبَرِيقِهَا الْبَاهِتَ!

فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَعْتَزِمُ فِيهَا عَلَى الذَّهَابِ إِلَيْهَا وَالتَّحَدُّثِ مَعَهَا؛ بَيِّدَ أَنَّهُ سُرْعَانَ
مَا يَتَرَدَّدُ وَيَعُودُ مُنْكَفِئًا عَلَى وَحْدَتِهِ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، الَّتِي قَرَّرَ
فِيهَا آخِرًا أَنْ يَمْضِيَ قُدُمًا نَحْوَهَا دُونَهَا حَيْرَةً وَيَعْرِفُ كُنْهَ هَذِهِ النُّجْمَةِ!
مَشَى نَحْوَهَا بِخَطَوَاتٍ مُضْطَرِبَةٍ وَالْخَوْفُ قَدْ تَمَلَّكَه، لَكِنَّهُ اسْتَعَادَ

رِبَاطَةَ جَاشِهِ وَطَفِقَ بِالْكَلامِ قَائِلًا:

- لقد بقيتُ لِيالٍ طويلةٍ استرقُ النَّظْرَ إِلَيْكَ مِنْ بَعِيدٍ، عاجزاً عن الدُّنْوِ
مِنْكَ خَوْفاً ... خَوْفاً مِنْ أَنْ تَذْهَبِي بَعِيداً فَلَا أَهْتَدِي إِلَيْكَ؛ إِذْ مَا اقْتَرَبْتُ
أَنَا وَأَنْتِ ابْتَعَدْتِ .

تَوَقَّفَ هُنَيْهَةً عَنِ الْكَلَامِ وَتَنَفَّسَ الصَّعْدَاءَ لِكَأَنَّهُ كَانَ يَتَسَلَّقُ جِبَالاً
عَالِياً، ثُمَّ تَابَعَ قَائِلاً :

- حَدَّثَنِي عَنْكَ، جُلًّا مَا أَعْرَفُهُ هُوَ أَنَّكَ نَجْمَةٌ وَحِيدَةٌ، وَحِيدَةٌ مِثْلِي
تَمَاماً .

أَصَابَتْهَا الدَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ؛ فَظَلَّتْ وَاجِمَةً وَلَمْ تَنْبَسْ بِنْتِ شَفَةِ .
اسْتَحْتَمَّهَا عَلَى الْكَلَامِ :

- وَيَبْدُو أَنَّكَ نَجْمَةٌ صَامِتَةٌ أَيْضاً !

فَكَّرْتُ مَلِيّاً قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ :

- أَلَا تَرَى أَنَّنِي مُحَاطَةٌ بِآلَافِ النُّجُومَاتِ، فَكَيْفَ أَكُونُ وَحِيدَةً ؟

- لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّكَ لَسْتَ وَحِيدَةً، فَالوَحْدَةُ شَعُورٌ يَنْبَعُ مِنْ دَاخِلِ

الذَّاتِ وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِكَثْرَةِ الْوُجُوهِ مِنْ حَوْلِكَ .

- و كيفَ ذلك ؟

- بمعنى أننا قد نكون مُحاطين بالكثيرِ من الأشياءِ ومع ذلك نشعرُ

بالوحدة .

- ولماذا يُخامرنا هذا الشّعور ؟

- لأننا نعيشُ مع أرواحٍ تُشعرنا بأننا غرباءَ بينها، لهذا لا نجدُ الأُنسَ

بوجودها، فنبقى نعيشُ في وَحشةٍ دائمةٍ لا مناصَ منها.

- ولكنَّ العيشَ في عَزلةٍ ووحدةٍ خيرٌ من العيشِ مع مَنْ يُشعروننا بأننا

غريبين بينهم وبعيدين عنهم رُغمَ قربهم مِنَّا ؟

- بيدَ أنَّ الوحدةَ مُوحشةٌ أيضاً يا نجمة !

لاذتُ في صمتها بضعةَ دقائقٍ ثمَّ أردفتُ قائلةً :

- أَيْعَقُلُ ..؟ أَيْعَقُلُ بآنني كنتُ وحيدةً ولم انتبه لذلك؟! أَيْعَقُلُ من قَرطِ

وحدتي نسيتُ أنني وحيدة؟!!

- ليس كذلك، إنّما غفلتِ عن ما يَجري في داخلِكِ ونسيتهِ مُنذُ وقتِ

طويلٍ، حتّى أصبحَ مثلَ كهفٍ مهجورٍ، تراكمتُ فيهِ فوضى من المشاعرِ

والأحاسيس، فأصبحت لا تُدركي بماذا تشعُرين، حتّى لم يعد يخطرُ في

بالك إن كنتِ وحيدة حقّاً!

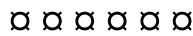
نحنُ بحاجةٍ يا نجمة إلى أن نركُنَ لدواتنا بين الفَيئةِ والأُخرى، ونُرْتَبَ

الفوضى العارمة في الدّاخل، لتَنجلي الغباشة عنه ونعرفُ الشعور

الذي يعترينا، وندركُ ما نحنُ بحاجةٍ إليه فعلاً!

ولكنّها بدتْ حزينةً لأنّها أدركتْ مدى الوحدة الغارقة فيها، فأحياناً

معرفة ما كُنّا نجهله مؤلِّمٌ جدّاً..!



عَنِ الذَّاكِرَةِ وَالنَّسِيَانِ

أصبح يرتقبُ مجيءَ اللَّيْلِ بفارغِ الصَّبْرِ ليلتقي بالنَّجْمَةِ التي تجاذبُ
معها أطرافَ الحديدِ في تلكِ اللَّيْلَةِ، مُنذُ الوهلةِ الأولى من دنوِّه منها
شعرَ بالوَّنْسِ وبأنَّ الوحدةَ داخلهُ قد تلاشتُ، وسكنتُ الطُّمَأْنِينَةَ
قلبهُ، ووجدَ مُستراحهُ عندها وبرَّ أمانه .. عجباً! أين كان قبلَ هذا؟

بادرَ بالسَّوَالِ على الفورِ حينَ دَنَتْ منهُ:

- كيف حالُ نجمتنا اللَّامعة ؟

- اللَّامعة ؟

- نعم .

- أهكذا تراني أنتَ ؟

- أنتِ كذلكِ حقّاً!

وسادَ الصَّمتُ لِبُرْهَةٍ مِنَ الزَّمنِ إلى أن سألَتُ النَّجْمَةَ :

- كيفَ السَّبيلُ إلى النِّسيانِ ؟

باغتتهُ بسؤالِها هذا، فقالَ باستغرابٍ :

- ولمَ تَسألينِ ؟ يبدو أنَّ هذا السَّؤالَ كان يشغُلُ حيزاً كبيراً من

تفكيركِ .

- لقد كانتُ ذاكرتهُ تُورِقُهُ لَيْلاً، ومنذُ سنواتٍ لم يَعْرِفِ النَّومَ الهانئِ

سبيلاً إلى عينيه المُتعبَتينِ، إذ يعيشُ صراعاً مُحْتدِماً بينَ ذاكرتهِ

والنِّسيانِ، هو يريدُ أن يَنسى والذَّاكرةُ تَأبى ذلكَ، ولو كان النِّسيانُ

يُباعُ في الأسواقِ لاشتراهُ مهما بَلَغَ ثَمَنُهُ ! بيدَ أنَّ هذا لا يُمكنُ أن يحدثَ .

- وكيفَ سينسى يا نجمةُ ما دامتُ الأشياءُ التي يودُّ نسيانها حاضرةً

فيه، وهو كلِّما حاولَ الهروبَ منها لحقتُ به وتشبَّثتُ بتلابيبِ ذاكرتهِ

فيزدادُ تَدكُّراً أكثرَ من السَّابقِ .

- لكن أليسَ الوقتُ كفيلاً بالنِّسيانِ ؟

- هُراءُ ! إنَّنا نضحكُ على ذاكرتنا عندما نقولُ بأنَّ الوقتَ يُنسى، يَشفي

الوقت سيحلُّ لنا جميع المشاكل، فقط مسألة وقت وستكونُ الأمور بعدها على ما يُرام! وفي الحقيقة المسألة ليست مسألة وقتٍ! المسألة "نحن"، المشكلة ليست في الوقت إنّما "فينا"!

- لا نسيانَ إذن في قاموسِ الذاكرة!؟

- بل محاولةُ نسيانٍ!

- ولن ينتهي الصراعُ القائم بين الذاكرة والنسيان؟

- اسمعي يا نجمة، إنّ الذاكرة والنسيان يمشيان في خطّين مُستقيمين

لا يلتقيان، فحيثُما وُجدت الذاكرة يغادرُ النسيان، لذا مُحالٌ أن

يتّفقا وبالتالي لن ينتهي صراعُهما على الإطلاق.

- حسناً، فالأجدرُ بنا أن نستأصلَ الذاكرة حتّى ننسى.

- ليسَ تماماً.

- إذن ما السبيلُ إلى النسيان؟

- أن ننسى وجودَ الذاكرة!

عَنْ مَرَارَةِ الْفَقْدِ

أذكرهُ جَيِّدًا عِنْدَمَا تَلَقَى خَبَرَ وِفَاةِ أُمَّهِ، أُصِيبَ بِصَدْمَةٍ شَدِيدَةٍ مَابِرَحَ
فِيهَا إِلَى الْآنَ، لَمْ يُصَدِّقْ مَا سَمِعْتَهُ أُذُنِيهِ آنَذَاكَ أَوْ بِالْأُحْرَى لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ
أَنْ يُصَدِّقَ ! بَلْ أَرَادَ أَنْ يُكْذِبَ الْحَقِيقَةَ، حَقِيقَةً أَنَّهُ أَضْحَى "يَتِيمًا" لَا
أُمَّ لَدَيْهِ، بِيَدِ أَنْ الْحَقِيقَةَ هِيَ الَّتِي تَنْتَصِرُ فِي النِّهَايَةِ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ
إِنْكَارَهَا بَعْدَ ذَلِكَ !

وَهُنَاكَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، أُمَّ تُبْكِي وَلَدَهَا "قِطْعَةً مِنْ قَلْبِهَا"، مَا مَعْنَى أَنْ
تَفْقَدَ قِطْعَةً مِنْ قَلْبِكَ ؟ كَيْفَ سَتَحْيَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟

بَكَتْ بِحَرَقَةٍ آنَذَاكَ، وَكَأَنَّ عَيْنَيْهَا ذَرَفَتْ دُمُوعَ الْعَالَمِ أَجْمَعِ !
وَحَالُهَا أَصْبَحَ كَحَالِ شَجَرَةٍ تَتَسَاقَطُ أَوْراقُهَا الصِّفْرَاءِ الْيَابِسَةِ عِنْدَ
هَبُوبِ الرِّيحِ عَلَيْهَا وَرَقَةً إِثْرَ أُخْرَى، وَكَذَلِكَ رُوحُهَا عِنْدَمَا تَسْتَحْضِرُ
صُورَةَ وَلَدِهَا؛ تَنْفَجِرُ بِأَكْيَةٍ وَتَنْهَمِرُ دُمُوعَهَا دُمُوعَةً بَعْدَ دُمُوعَةٍ !

وفيما كان يدور حديثٌ بينهما حولَ فاجعة الموت، سألتُ النّجمة :

- ما الأصعبُ فقدُ الابنِ أم الأمّ ؟

- كلاهما يا نجمة ! يبقى الوجعُ ذاته، فالأمُّ عندما تفقدُ فلذة كبدِها

فإنّها تفقدُ معه قطعةً من روحِها، فتبقى طيلةَ حياتِها تشعرُ بأنّ ثمة

شيء ما ينقصُها؛ إنّها تلك القطعة !

أمّا عن الابنِ فحين تموتُ والدته؛ تنطفئُ روحهُ فجأةً وتغدو حياته

دامسةً وموحشة لا يُمكنُ لأحدٍ إعادة النورِ إليها .

- وهل تنطفئُ الرّوح ؟

- أجل، عندما تُغادرنا أرواحُ أمّهاتنا .

- ومَن ذا يُخفّفُ عنّا ألمَ الفراق ؟

- صوّرهم ورائحتهم وذكرياتنا معهم، هي عزاؤنا الوحيد في هذا الفقد !

- الفقدُ موجعٌ حدّ الموت !

- أجل، ونستغرقُ وقتاً طويلاً حتّى ندركَ حدوثه ونخرجَ من صدمتنا

تلك .

- كم يبدو الأمرُ صعباً، وثقيلاً على الرّوح!

- نعم، ولكن علينا تقبُّل الحقيقة لا خيارَ آخرَ لدينا، وسنعتادُ بعد ذلك .

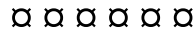
- نعتادُ على ماذا ؟

- على حياتنا بدونهم .

- نعتادُ بهذه البساطة !

- مُجبرين على التعوُّد ! ولولاهُ يا نجمة ما كنّا استطعنا العيش، التعوُّدُ

يُعيننا على الحياة، ويُخفِّفُ عنّا أموراً كان حملها ثقيلاً علينا !



عَنِ الصَّمْتِ وَأَبْجَدِيَّةِ الْعَيْنِينَ

عَرَفْتُهَا صَامِتَةً، صَامِتَةً طَوَالَ الْوَقْتِ، صَامِتَةً حَزِينَةً أَكَانَتْ أَوْ فَرِحَةً،
مُتَأَلِّمَةً أَوْ مُبْتَهِجَةً، لَطَالَمَا تَسَاءَلْتُ كَيْفَ كَانَ بَوَسْعِهَا أَنْ تَحْمَلَ هَذَا
الْكَمَّ الْهَائِلَ مِنَ الْحُزْنِ وَالِدَّمْعِ وَالنَّدْوِبِ وَالْحَسْرَاتِ وَالْأَهَاتِ وَالْكَلِمَاتِ
دَاخِلِهَا، مِنْ دُونِ أَنْ تُفْصِحَ عَنْ أَيِّ مِنْهَا؟ كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكْتُمَ كُلَّ
هَذَا وَتَحْجُبَهُ بِصَمْتِهَا طَوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ؟ مِمَّ قُدَّتْ هَذِهِ النُّجْمَةُ؟ عَجَباً
لصَلَابَتِهَا اللَّيِّنَةِ!

وَأَنَا كُنْتُ انصَبْتُ إِلَى صَمْتِهَا إِذْ كَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ مَوْسِيقَى لَهَا سِحْرٌ
خَاصٌّ، وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ أَهْنَاكَ صَمْتُ مَوْسِيقِيٍّ؟ أَيْعَقِلُ هَذَا؟ هَلْ أَهْذِي
أَنَا؟ مَاذَا أَقُولُ؟ لَا أَدْرِي وَلَكِنْ صَمْتِهَا جَمِيلٌ لِلْغَايَةِ! وَكُنْتُ قَادِراً عَلَى
فَهْمِهِ مِنْ دُونِ أَنْ تَبُوخَ بِأَيَّةِ كَلِمَةٍ.

وَكَمَا كَانَتْ تُشَارِكُنِي الْحَدِيثَ كَذَلِكَ كُنْتُ أَقَاسِمُهَا الصَّمْتَ!

ونظرتُ في عينيها حينذاك؛ فانكشفتُ لي الكلمات التي اخفتها وراء صمتها، كلماتٌ .. كلماتٌ .. كلماتٌ .. تفيضُ بها عينيها ! ورحتُ أقرأها بغيرِ علمِها ..

سألْتُها يوماً :

- بالغتِ في صمتكِ هذا !

أطرقتُ وبقيتُ صامتة أيضاً ..

- انطقي بأية كلمة، قولي بأنَّ الحزنَ قد بلغَ أشدَّهُ فيك، بأنَّك مُتعبة

أيّما تعب ! تبحثين عن شيءٍ ضاعَ منكٍ مُنذُ زمنٍ ولا تدري ما هو،

تقيي الكلمات التي في داخلِكِ ولا تكتُميها، فالكتمانُ يُمزقُ الرّوحَ

يا نجمتي !

- كيف عرفتَ هذا عمّا في داخلي ؟

- عينيكَ .

- ماذا ؟!

- قرأتُ هذا في عينيكَ !

- وأشاحت بوجهها عنه لتلافي النَّظَرَ في عينيه، ثمَّ قالتُ :
- أضحيتُ صامتةً عندما حالتُ كلماتي مُهممةً وغير مفهومة في أُذُنِ من يسمعها .
- وكيف بدا لكِ هذا ؟
- لم يكن ليُفهمني أحد، وأنا بدوري تعبتُ من الشَّرح والكلام !
- لهذا اخترتِ الصَّمت ؟
- صامتة في الظَّاهر، لكنَّ الثَّرة داخلي لا تهدأ أبداً وإني مُثقلةٌ بالكلمات .
- صمتتُ صاخِب ؟!
- هو كذلك !
- ولكنَّ عينيكِ تفضحُ هذا الصَّمت، ألا تعلني أن للعيونِ لغةً وأبجديةً خاصَّة بها ؟
- حسناً، ماذا تقولُ عيناَي الآن ؟
- هل هذا سؤالٌ اختباريٌّ لي ؟

- رَبِّمَا !

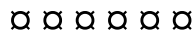
- تقولُ بأنَّ النجمة حزينة وتجهلُ سببَ حُزنها، تنتظرُ شيئاً ولا تعلمُ ما

هو، تبكي ولا تدري لماذا، تائهة ولا تعرفُ أيَّ دربٍ تسلكُ، ضائعة بين

"نعم" و "لا" بين "أريد" و "لا أريد" بين "أحبُّ" و "أكره" وبين البينين !

وأغلقتُ عينيها مخافةً أن يكشفَ سرَّها أكثر، فهي اعتادتُ أن تُظهِرَ

عكسَ ما تشعرُ به، فكيفَ يأتي القمرُ الآن ويُبدي ما كانت تُخفيه ؟!



عَنِ الْخَوْفِ وَالطَّمَأْنِينَةِ

"وحشٌ شرسٌ" يُهاجمنا دونَ هِوَادَةٍ، مخالِبُهُ الحَادَّةُ تفتكُ بنا، يُطارِدُ

الطَّمَأْنِينَةَ داخلنا إلى أن يَلْتَمِهُمَا تَمَامًا، فنَعِيشُ تحتَ سيطرته إلى ما

لأنهاية! إِنَّهُ الخوفُ نعتاؤُهُ ونألفُهُ من دونِ أن نشعر، وعندما تهبُّ

علينا نفحاتٌ من الطَّمَأْنِينَةِ؛ نَطْمَأُنُّ بخوفٍ وَحَذَرٍ!

انثنتُ على نفسها وفيما كانت ترتجفُ وترتعدُ أوصالها خوفًا،

اقتربَ نحوها وهمسٌ :

- ما دهالكِ ؟

- الخوفُ أخذَ يتعاظمُ بي شيئاً فشيئاً .

- وممَّ أنتِ خائفةٌ يا نجمتي ؟

- من كلِّ الأشياءِ، خائفةٌ من الوقوفِ ثابتةً في مكاني، من التقدُّمِ

خَطَواتٍ نحوَ الأمامِ، ومن الرِّجوعِ نحوَ الخلفِ، من الصِّمْتِ والكلامِ،

من القلقِ والطُّمأنينة، من السَّعادةِ والحزن، من القرار واللاقرار، من
الشَّعورِ واللاشعور، من الحُبِّ والكراهية، من الوداع واللقاء، من
الحُلُمِ والواقع، من الحقيقةِ والخيال، من الذَّاكرة والنِّسيان، من
قرارات العقل وقرارات القلب، من الماضي والحاضر والمستقبل، من
الحياةِ والموت، خائفةٌ من الخوفِ ذاته !

تعمدُ ألا يتفوّه بأية كلمة ريثما تُنهي حديثها فهو يعرفُ تماماً بأنّها
مُثقلةٌ بالكلمات وقلماً تُفصحُ عمّا في داخلها، وإذ ما أفرغتها الآن سوفَ
تُهدئُ من روعِها، لذا التزمِ الصِّمتَ وراحَ يستمعُ إليها باهتمامٍ مُبالغٍ
فيه، تابعتُ النّجمةَ قائلة :

- أتعرفُ ما معنى أن تتحوّلَ إلى كتلةٍ من خوفٍ مع الأيام ؟
وتفقدَ القدرة على الاستمتاعِ بالأشياءِ التي تمتلكُها فقط لأنّك خائفٌ ؟
هل جرّبتَ أن تحملَ قلبكَ بين يديكَ لفرطِ خوفك ؟
هل شعرتَ يوماً بطُّمأنينةٍ قلقة يشوبُها الخوف ؟
كنتُ كمَن يركضُ طيلةَ الوقتِ في دائرةِ القلق، وهذه الدائرةُ يا قمر

لا زاويةً اطمئنانٍ فيها لأمكثَ هناك، لهذا تعبتُ وأرهقني الرِّكضُ
الطويل وأقصى ما أريدهُ الآن أن اطمئنَّ واستكينَ بيدَ أن قلبي لا يعرفُ
سبيلاً إلى الطمأنينة !

خرجَ عن صمتهِ قائلاً :

- الخوفُ موتٌ على قيدِ الحياة ! وإن لم تكوني قويَّةً يا نجمتي بما فيه
الكفاية وتنتصري عليه، سوف يهزُمك هو ويتغلَّبُ عليك، ثمَّ فكِّري
معي، نحن نخافُ في أغلبِ الأحيان من المجهولِ الذي ينتظرنا لأننا
ننظرُ بسوداويةٍ مليئةٍ بالتشاؤمِ إلى الغدِّ، وربَّما يكونُ غداً أجملُ من
اليوم ..

قاطعتُهُ قائلة :

- وربَّما يكونُ لا .

- أتفقُ معك، ولكن بصرفِ النَّظرِ عن الغدِّ إننا نعيشُ في هذه اللَّحظةِ
فلماذا لا نعيشُها كما ينبغي ؟ ونُرهِقُ أنفسنا بالتَّفكيرِ بغدٍ !
وغداً أتِ بالحالِ التي يُريدها هو لا التي نُريدها نحن،

لذا ركّزي على حاضرِك واستمتعي بكلِّ لحظةٍ تعيشينها ولا تكثرِثي

بشأنِ الغدِّ، وتطلّعي نحوه بتفاؤلٍ وأملٍ وتيمُّنٍ ...

علَّه يُكونُ كما رجوتِه يوماً!

□□□□□□

عَنِ الْإِنْتِظَارِ وَمَوْتِ اللَّهْفَةِ

" الحياةُ ما هيَ إِلَّا مَحْضُ انتِظَارٍ " هذا أبسطُ تعريفٍ لها، إننا نَفني حياتنا في انتظارِ أشياءٍ لطالما تمَنَّينا الحصولَ عليها، ننتظرُها بفارغِ الصَّبْرِ وبكلِّ ما أوتينا من لهفةٍ ! نحلُمُ بيومِ لقائنا بها وتكونُ هي أوَّلُ ما يطرأُ على بالنا عندما نصحو وأخر ما نُفكِّرُ به قبل أن ننام، ونتساءل بيننا وبين أنفسنا، هل تتشوقُ إلينا كما نتشوقُ إليها ؟ هل تُريدنا كما نُريدُها ؟ هل تستعجلُ لقاءنا كم نستعجلُ لقاءها ؟ إن كان الجوابُ "نعم" فلماذا تتعالى علينا كلَّ هذا العُلُوِّ، وتتأخَّرُ في مجيئها إلينا، وتأتي بعد فواتِ الأوان، بعدما تموتُ اللَهْفَةُ ؟ هل تفعلُ هذا عَمْدًا فينا ؟ ولماذا تنتظرُ لينضُبَ شغفنا فيها وتنتهي لهفتنا لها حتَّى تأتي ؟ هل هذا جزاءُ الوقتِ والترقُّبِ والتلَهُّفِ الذي استنزفناه ونحنُ نقفُ في محطةٍ انتظارِ أشياءٍ تُخلفُ المواعيد وتأتي مُتأخِّرةً على مُسافرٍ في الحياةِ فقدَ لهفته لفرطِ ما انتظرها !..

قالت له وقد خامرها شعورٌ بالخيبة :

- حلمتُ بأشياءٍ كثيرةٍ وحصلتُ عليها فعلاً ولكن بعد انتظارٍ طويلٍ
ومُضِنٍ استهلكَ مَنِّي الكثير .

ردَّ عليها قائلاً :

- ما يهمُّ أنّها جاءتُ أخيراً بعد هذا الانتظار .

- ولكنّها جاءتُ متأخّرة.

- أن تأتي متأخّرة خيراً من ألا تأتي أبداً .

- ما الجدوى من مجيئها بعدما تنعدمُ رغبتنا فيها ؟

- ربّما علينا أن ندفعَ الثمن .

- ثمنُ ماذا ؟

- الانتظار .

- والثمنُ هو موتُ اللّهُفة ؟

- ربّما .

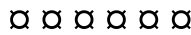
- ليتها بقيتُ هناك بعيدة ولم تأتِ !

- لهذا قلتُ لكِ مراراً يا نجمتي، بأن تكفّي عن انتظارك المُفرطِ هذا
فالأشياءُ تأتي عندما نتوقّفُ عن انتظارها، لا تُعيرها اهتماماً ولا تُفكّرني
فيها؛ تجيءُ إليكِ سعياً على قدميها، لتعتبري هذا قانوناً ثابتاً من قوانين
الحياةِ الكثيرة وقومي بتطبيقه فعلاً في حياتكِ .

- كنتُ على الدوامِ منشغلةً في انتظارِ الغدِّ ومرورِ الوقتِ والأيامِ
والسّنواتِ وأشياء كثيرة، ونسيتُ في لُجّةِ هذا الانتظار أن أحيأ .

قالَ لها مودّعاً :

- لا تنتظري الأشياءِ دعي الأشياءِ هي التي تنتظركِ ...!



عَنِ الْأَحْلَامِ الْمُؤَجَّلَةِ

الفقيرُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حُلْمٌ، والغنيُّ غنيٌّ بأحلامه !
إِذَنْ كَيْفَ نُصْبِحُ أَغْنِيَاءَ بِأَحْلَامِنَا مَا دَامَتْ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى تَأْمِينِ لُقْمَةٍ
عَيْشِنَا أَوْ حَتَّى إِطْعَامِنَا رَغِيفَ خُبْزٍ وَاحِدٍ ؟ وَكَيْفَ تُؤَمِّنُنَا لَنَا هَذَا مَا دُمْنَا
عَاجِزِينَ عَنِ تَحْقِيقِهَا ؟ وَكَيْفَ نَسْعَى لِتَحْقِيقِهَا وَالظَّرُوفُ تَقْفُ فِي
وَجْهِنَا وَالْوَاقِعُ يَحْجُبُهَا عَنَّا ؟ وَلَكِنَّا عَاهَدْنَا أَنْفُسَنَا بِأَلَّا نَبْرَحَ حَتَّى
نُحَقِّقَهَا ثُمَّ نَقْضِنَا الْعَهْدَ وَأَخْلَفْنَا الْوَعْدَ ! إِذَنْ نَحْنُ لَسْنَا أَهْلًا لِأَحْلَامِنَا
فَهِيَ تَسْتَحِقُّ مَنْ هُمْ أَجْدَرُ مِنَّا بِتَحْقِيقِهَا ..!
كَانَ الذَّنْبُ ذَنْبِنَا مِنَ الْبِدَايَةِ، رَسَمْنَا أَحْلَامًا كَبِيرَةً وَقُمْنَا بِتَلْوِينِهَا بِأَلْوَانِ
الْوَهْمِ فَأَصْبَحَتْ سَرَابًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نُسَمِّيهَا أَحْلَامًا مُؤَجَّلَةً مَا زَالَتْ
مُعَلَّقَةً هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ بَعِيدَةً !
وَلَكِنْ إِلَى مَتَى سَتَبْقَى مُؤَجَّلَةً وَصَعْبَةً الْمَنَالِ وَعَصِيَّةً عَنِ التَّحْقِيقِ ..؟

ذات مساءٍ قالتُ لهُ وقد خرجتُ عن صمتِها المعتاد .

- عندما كنّا صِغاراً رسمنا بيدنا أحلاماً ورديةً وحينما كبرنا مَحوناها

بذاتِ اليدِ !

- ولكنّ الأحلامَ خلقتُ لتتحقّق يا نجمتي .

- بل خلقتُ لتبقى مُجرّدَ أحلام .

- إن لم نُقاتلْ ونُضجّي من أجلها فحتماً ستبقى أحلاماً !

- كم يلزمها من تضحياتٍ إذن حتّى تتحقّق ؟!

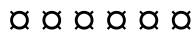
- سوف نُقاتل كثيراً في سبيلها، ولن نحصل عليها من أوّل تضحيةٍ

نُقدّمها لها، فالأحلامُ عنيدةٌ يا نجمتي وعلينا أن نفوقها عناداً !

والأنا نستسلم عنها أبداً أو نُفرط فيها أو نرضى بأقلِّ منها، والأهمُّ من

هذا أن نكونَ أوفياءً لها، وإلا بقيتُ أحلاماً مؤجّلةً للأبد !

لنجعلَ من هذا شعاراً لنا ..!



عن الجوى والنجوى

"عذب بما شئت غير البعدِ عنك تجدُ .. أوفى مُحِبِّ بما يُرضيك مُبتهِجِ

وخذ بقيّة ما أبقيت من رَمَقٍ .. لا خيرَ في الحُبِّ إنْ أبقى على المُهْجِ "

كما قال ابن الفارض في إحدى قصائده التي يصف فيها العذاب الذي

يلقاه العاشق في عشقه، وما يُكابده من ألم الفراق والهجر وحرقة

الأشواق ولهيب الجوى والحزن الذي يعتصر قلبه بسبب هذا العشق

إلا أنه لا يمتنع ولو للحظة عن عشقه ولا يكف عن غرامه وشجنه بل

يطلب من معشوقه أن يزيد من عذابه أكثر ويأخذ إن شاء حتى الرّمق

الأخير الذي تركه فيه ويفعل له ما يريد من أجل رضاه!

ولا يبرح نافذته يُناجي طيفه فهذا يُخفف عنه قليلاً فلا حيلة له إلا

الصبر، أن يصبر على عذابه حتى يظفر بمحبوبه حينها يبدو وكأنه ملك

العالم أجمع!

كان يُحدّثها عن شابٍّ يُناجي طيفَ محبوبتهِ في مُدْهِمِ اللَّيْلِ وقد أعيتهُ
الصَّبَابَةُ ! قالتْ لهُ حينها :

- يا لحرقة العِشق، إنَّ نارها تكوي القلب !

- أجل !

- أهذا كلُّهُ بسببِ ذاكِ المُنْغْرِسِ داخلَ صدرنا والذي يُدعى "القلب" ؟

- إنَّه كلُّ القضيَّةِ يا نجمة ! يتحكَّمُ فينا كيف يَشَاءُ وكأنَّنا دُمىٌ مُتحرِّكةٌ

بين يديه، وفي أكثرِ الأحيانِ نَعْجِزُ عن مُقاومتهِ ونستسلمُ لرغبتهِ !

وحين يعشقُ القلبُ يا نجمتي لا تسألِيه "لماذا" و "كيف" و "أين" فلن

يُجيبَكَ لأنَّ كلَّ شيءٍ يغدو مُبهماً بالنسبةِ إليهِ ثمَّ إنَّه يُحِبُّ من يشاء

لمجرّد الحُبِّ وليسَ لأيةِ أسبابٍ أو صفاتٍ وجدها في محبوبه،

"أنا أحببتُ هذا لأنني أحببته " "أنا أحببتُ تلكَ لأنني أحببتها"

هكذا لا شروحات لا توضيحات لا تفسيرات أكثر من ذلك !

- وهل عندما يُصابُ المرءُ بالعِشقِ يُصبحُ أعمى ؟

- بالتأكيدِ لا إنَّما يغفلُ عن عيوبِ معشوقه !

توقّف هنيئاً ثم استطرّد حديثه :

- في الحقيقة هو لا يراها عيوباً أو لنقل كانت عيوباً لكنّها جُمِلت في عينيه، ينظرُ في وجهه معشوقه ويراه كوجه الملائكة أجمل ما في الدنيا ويتأمّله بدهشة وانبهار! ويلقى السعادة حينما يكون بقربه ويغدو كئيباً عندما يفارقه، وما بين ذلك وذا يعيشُ على قوتِ حُبّه!

- ما السرُّ في هذا القلب؟!

- غامضٌ! لم يكتشفه بعدُ أحد .

- حسناً، أما من نصيحة تُسديها إليّ قبل إنهاء الحديث؟

- بلى، ابني حول قلبك يا نجمتي سياجاً حتى لا يدخله عابري السبيل

ومن يُريده حقاً سيعرفُ تماماً كيف يخترقُ هذا السّياج ليحصلَ

عليه، وبهذا تُحافظين على نقاء قلبك وصفاوته فهو أئمن ما تملكين!

" قلبك ثمّ قلبك ثمّ قلبك، جوهرة نفيسة احذري أن تُفترطي بها!

عَنِ النَّهَائِيَاتِ الْحَزِينَةِ

" بديتُ القِصَّةَ تحت الشَّتَّى بأوَّلِ شتِي حُبُّوا بعضن، وخلصتُ القِصَّةَ

بتاني شتِي تحت الشَّتَّى تركوا بعضن ... "

أغنيةُ " فيروز " التي تُذكِّرني دائماً بالنهائياتِ الحزينة لقصصِ الحُبِّ

العظيمة، وتجعلُني أتساءل كيفَ لعاشقين تعاهدا على ألا يتخلَّى

أحدهما عن الآخر وألا يتفرَّقا إلا بالموت، وإذ بهما ينقضان هذا العَهدَ

ويذهبُ كلُّ منهما في طريقٍ؟! فتنتهي قصَّتُهما الكبيرة بكلمةٍ "وداعاً"

وبدمعةٍ يتيمة تنزلقُ على الخدَّين! أهذه البَسَاطة نَطوي صفحة حُبِّ

عشناه كأنَّها لم تُكن موجودة يوماً في كتابِ حياتنا وننساها كأنَّها لم

تحدث؟! أينَ الكلمات التي قُلناها واللحظات التي عشناها معاً

والضحكات التي تقاسمناها والمواعيد التي خطَّطنا لها، جميعها تبدَّدتْ

وأصبحتْ هباءً؟! لماذا؟ هل هو النَّصيب؟ أم المجتمع؟ أم الظروف؟

أو تلك أسبابٌ يخلُقها العُشاق ويتَّخذونها ذريعةً وشماعةً يرموا عليها

فشل قصص حُبهم؟ إذن على مَنْ نُلقي اللوم؟

ها قد شارفَ الصُّبحُ على الانبلاجِ بعد ظلمةٍ دامسةٍ وعينا النّجمة

غالبتهما النّعاس ومع ذلك قاومته ريثما ينتهي حديثهما الطّويل ..

قالتُ له :

- ظننتُ بأنّ قصصَ الحُبِّ التي تحدثُ في الحياة هيَ مثلها التي كانتُ

تُحكى لنا في الحكايات إذ تنتهي بزواج الأميرِ العاشق من الأميرة

فيعيشان حياتهما بهناءً وسعادة .

- ولكن هذا في الخيالِ يا نجمتي ونحنُ نعيشُ في الواقع !

- إذن لماذا نهايات قصص الحبِّ غالباً تكونُ حزينةً ؟

- الأسبابُ عديدةٌ ولكنّي أؤمنُ بواحدٍ منها ؟

- وما هو ؟

- القدر .

- القدرُ هو الذي يضعُ النهايات الحزينة لهذه القصص ؟ وما دورُ

العاشقين إذن ؟

- القدرُ يتولَّى وضعَ النِّهاياتِ في الحياة بوجهٍ عامٍ ليس فقط في قصص الحُبِّ .

- هذا يعني أنَّ قدرَ العشَّاقِ مكتوبٌ من البداية ؟

- أجل، وحتى لو حاول أحدهما أن يُضحِّي من أجلِ الآخر في سبيل البقاء بجواره بيدَ أنَّ القدر هو الذي يقعُ في نهايةِ الأمرِ .

- إن صحَّ كلامك، فعلى العاشقين إذن أن يُغيِّراَ القدر لصالحهما .

- الأقدارُ مكتوبةٌ يا نجمتي ولا يمكنُ تغييرها وهي تجري لصالحنا دوماً حتى وإن ظننا عكس ذلك .

- ولكن إن لم يُحقِّق القدر رغبةَ العاشقِ أيُّ عذاب سوف يلقاه حينها !

- إنَّه عذابٌ مُؤقَّتٌ وسيتعافى بعد ذلك ! وصدِّقيني يا نجمة لو كان

بوسعه الإطِّلاعُ على قدره لاختاره بكلِّ تأكيد .

- ولكنَّه على أيَّة حال قد خسَرَ حُبَّ حياته !

- وهذه الخسارة هي عينُ الرِّيحِ !

بقيت صامتة لكانها لم تفهم كلامه أو بالأحرى لم تقتنع به، فتابع

قائلاً:

- ليس كل ما نُحِبُّه ونرغب به يُناسبنا وتكمنُ المشكلة بأننا لا ندركُ هذا

إلا بعد مُضي وقت طويل، فنفهمُ حينها كم كنا مُخطئين ومشيئةُ

القدر هي الصَّحيحة .

- الآن قد فهمت !

وقال قبل أن يُنهي الحديث :

- ونصيحتي اليوم ليست لك !

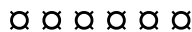
- إنما ؟

- لمن طوى صفحة حُبِّ عاشه : لا تلتفتْ إلى الخلف فهناك يكمنُ

شقاء قلبك، تجاوز، اعب، ارمِ الذكريات بعيداً، ولملم دموعك بأهدابِ

عينيك ! فالحيأة أقصر من أن تقضيها بالتَّحسُّرِ على حُبِّ لم يُكتب

لك ! ولعلَّ النِّهاية الحزينة تُمهِّدُ الطَّرِيقَ لبدايةٍ جميلة ..!



عن السَّعادة الضَّائعة

كانتُ أقصى أمانينا أن نعيشَ ولو لحظةً سعادةٍ حقيقيَّة، نمحو فيها

الأمَّ دهرٍ بأكمله! ولكن كان هذا صعبُ المنال رغم بساطته! فقد

ضاعتُ سعادتنا منذُ زمنٍ وإلى الآن مازلنا نبحثُ عنها.

لقد علّمونا في المدارسِ الكثير عن علمِ الرِّياضيّات والفيزياء والكيمياء

وقرأنا في التَّاريخ والجُغرافيا والفلسفة واللُّغات، ولكن لم يُعلِّمنا أحدٌ

أين نجدُ السَّعادة أو يُعطينا خريطةً للبحثِ عنها!

السَّعادة هي أعظمُ شعورٍ قد يغمرنا! فلماذا لم نُعيرها اهتماماً بما

فيه الكفاية؟

قالتُ لهُ فيما كانت تُخبرهُ عن السَّعادة التي لم تستطع إيجادها:

- أعتقد أنّ السَّعادة هي أن يكون بوسعك الحصول على ما تُريد.

ردَّ عليها:

- وربّما نحصلُ على ما نريد فعلاً ومع ذلك لا نشعرُ بالسّعادة،

وأن يكون عندنا الكثير هذا ليس مقياساً للسّعادة أيضاً.

- حسناً، أين تكمنُ السّعادة ؟

- في الرّضا عن الأشياء التي نمتلكها، عن الحال التي كنّا عليها والتي

أصبحنا عليها الآن، الرّضا حتّى عندما نفقدَ أشياء نُحبّها، الرّضا عن

أنفسنا وحياتنا بأكملها .

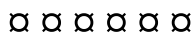
- وكيف نرضى ؟

- هذا له حديثٌ آخر، ولكننا سنسلكُ درباً طويلاً وشاقاً حتّى نصلَ

لمرحلة الرّضا المطلق والأهمّ ألا نتوقّف عن المحاولة للوصول إليه

والسّعي الدائم نحوه، وبهذا تتحقّق السّعادة، إذ أنّ الرّضا هو

مُرادفاً للسّعادة !



عندما تُمطرُ دمعاً

حدّق لأوّل مرّة في عينيها وهي تذرفُ الدّمعَ بغزارةٍ حيث لم يحدث أن شاهدَ نجمةً تبكي مثل غيمةٍ تُمطرُ! انقبضَ قلبه وتوجّسَ خيفةً عليها لأنّه يعرفُ تماماً بأنّ العيون لا تفيضُ بالدموع إلا إذا تراكمَ شعورٌ ما في الدّاخِل ولم نستطع البوحَ به، فكم أصبحَ الجِملُ ثقيلاً على قلبِ نجمتهِ حتّى راحتْ تجهشُ بالبكاء لتُخفّفَ عنها هذا الثّقل ؟

دنا منها وقال بصوتٍ مُنخفضٍ :

- ما بالُ عينيكَ يا نجمة تبكي ؟

ولكنّها تجاهلتْ سؤاله .. وانتظر ريثما تفرّغُ من بكائها ثم كرّر سؤاله :

- والآن أَلن تقولي لي ما بكِ ؟

- لا أدري .

- مَنْ يدري إذن ؟

- لا أعرفُ أيضاً !
- حسناً، لمَ كنتِ تبكين ؟
- دونما سبب، وهنا تكمنُ المشكلة .
- لا شيء يحدثُ بدونِ سبب !
- إذن، هناكِ سببٌ لكننا نجهلهُ .
- أنتِ تعرفين السبب ولا تريدين الإفصاح عنه !
- لم تنبسي بنتِ شفةٍ، فقال لها :
- تلوذين بالفرارِ بصمتكِ هذا دوماً .
- ليس كذلك .
- إنَّما ؟
- أخشى المواجهة !
- مواجهةٌ مَنْ ؟
- القلب، أخافُ سماعَ صوته والاستجابةَ لندائه .
- أهنالكِ مَنْ يخافُ من قلبه يا نجمة ؟

- أجل، أهربُ منه لأنني أخافهُ !

- لكنك ستواجهينه في نهاية المطاف مهما حاولتِ المناصَ منه !

- أعلم، ولا أدري ماذا سأقولُ له حينها .

أترأهُ عرفَ بأنّ نجمتهُ كانتُ تُمطرُ دمعاً لأنّها وقعتُ في حُبِّهِ ؟

□□□□□□

أَنْ تَكُونَ إِلَّا شَيْءً

إنَّ حياةَ الإنسانِ على الأرضِ تتلخَّصُ في أن يكونَ أو لا يكونَ، ووفقَ هذا عليه أن يختارَ ثمَّ يَمْضِي قُدُماً في حياته، ولكن ما معنى أن يكونَ ؟ أن يُثبِتَ وجودَهُ في الحياةِ ؟ أن يُحَقِّقَ ذاته ؟ أن يتركَ أثراً يُخلدُ من بعده ؟ أن يُتَمَّ مهمته التي كلفه اللهُ بها باعتبارهِ خليفةً على الأرضِ ؟ جميعُ ما سبق يحملُ معنىً واحداً لـ "أن يكونَ" ولكن ماذا لو اختارَ ألا يكونَ ؟ أيّ أن يكونَ لا شيء، عَدَم، صِفرًا على شمالِ الحياة، يقفُ في منطقةِ الحياد التي يجدُ فيها راحتَهُ وقد تخلَّى عن جميعِ أهدافهِ التي كانت تُعطي لوجودهِ معنى، وأصبحتُ غايتهُ السَّعي وراءَ لُقمة عيشهِ فحسب، يأكلُ ويشربُ وينامُ ولا شيء غير هذا .

هذه هي حياتهُ وحياةُ أكثرنا !..

فهل نَظلمُ أنفسنا إن اخترنا "ألا نكونَ" ؟

قالت له بعدم مُبالاة :

- لقد اتّخذتُ قراراً .

- بشأنِ ماذا ؟

- قرّرتُ ألا أكون !

بدتُ الجملةُ التي قالها مُهمّةً بالنسبةِ إليه، فاستطردتُ موضحةً :

- أريدُ أن أكونَ اللا شيء، هذا يعني أنني لن اضطرَّ إلى الخوضِ في

صِراعاتِ الحياة العنيفةِ وبالتّالي لن تعرّضَ للهزيمة ولا للخسارة،

كذلك لن انتصر ولن أربح وأعودُ بعدها إلى ركني وأعيشُ في عالمي

الدّاخلي بهدوءٍ وسلام .

أصابهُ الدّهول ممّا سمعه، فقال بحنقٍ وامتعاض :

- أنتِ تقولينَ هذا يا نجمتي ؟ ما دهاكِ ؟

- وجدتُ راحتي في اختياري هذا !

- مُخطئة ! هنا يكمنُ شقاؤك يا نجمة، ثمّ إنّنا لم نأتِ إلى الحياة من

أجلِ الرّاحة والحياة أساساً ليست مُرادفاً للرّاحة .

- مُرادفاً لماذا إذن ؟

- للتحدي .

- نتحدى مَنْ ؟

- الحياة ذاتها ! وخلال تحدينا هذا لها سوف نتعبُ ونضعفُ، نياسُ،

نتعثرُ، نسقطُ، وربما نبكي أحياناً ونصلُ إلى ذروة ألمنا فنحسبُ بأنّها

النهاية التي لا نهوض بعدها مرّةً ثانية ولكن من رحم هذا الألم سيولدُ

أملٌ جديد يبعثُ فينا الحياة ويجعلنا نواصلُ المُضيّ قُدماً حتّى بلوغ ما

نصبو إليه وتحقيق الغاية !

همستُ بنبرةٍ حزينة :

- كنتُ نجمةً قويّة لا شيء يكسرها، متوهّجة وبريقها اللامع لم يكن

ليخفتَ أبداً، مُتّقدة بالأملِ دوماً ! ولكن ...

اختنقَ الكلامُ في جوفها ودمعةٌ سقطتُ سهواً على خدّها، لكنّها تمالكتُ

نفسها وتابعتُ قائلة :

- لا أعلمُ ما الذي حدث، وكأنّ ريحٌ عاصف هبّت داخلي، بعثرتني

وقلبتني رأساً على عقب وانتزعتُ مني أشياء كثيرة وأطفأتُ شعاعي

المتوهج وغدتُ عيناَيَ ترى كلَّ شيءٍ بسوداويّةٍ حالكة!

- لهذا اخترتِ ألا تكوني؟! -

- أجل، لا أريدُ شيئاً سوى أن أرتاح لأنني مُتعبة...

أنا حقّاً مُتعبة! أتفهمني؟

ردّ عليها بحزم:

- ألم تسمعي يوماً بالموتِ على قيد الحياة؟! -

- بلى .

- إن اخترتِ أن تكوني "لا شيء" معناه أنكِ قد حكمتِ على نفسكِ

بالموتِ وأنتِ على قيد الحياة!

وتركها تُفكّرُ في جملتهِ الأخيرة .. تُفكّرُ مراراً ...

□□□□□□

البحثُ عن الذات

جاءَ السماءَ طولاً وعرضاً، بحثَ هُنا وهناك وفي كلِّ الأرجاء، وبقيَ ليالٍ
طويلة يبحثُ عنها بعدما ضيَّعها لسنواتٍ عديدة، حيثُ دخل في متاهةٍ
لم يعرف السَّبيلَ للخلاصِ منها، وكادَ يفقدُ الأملَ من إيجادها إلى أن
تعثَرَ بالنَّجمةِ ووجدَ عندها ضالَّتَهُ أخيراً...!

سألتُ النّجمةَ :

- عمّ كنتَ تبحثُ طوال هذه المُدّة ؟

- عن ذاتي .

- وهل وجدتها ؟

- أجل .

- أين ؟

- فيك !

واستطاع أخيراً أن يخرج من متاهته تلك وعثر على ذاته داخل النجمة

فهل تُدرك أيها القارئ ما معنى أن يجد قمرٌ ذاته في نجمة ؟

أو أن يجد إنسانٌ ذاته في إنسانٍ آخر ؟

فتُصبح ال "أنا" هي نفسها "أنت" !..

□□□□□□

تنويه قبل البدء بقراءة النصّ الآتي :

إنّ هذا النصّ بعنوان (ما تبقى لنا) ليس له صلةً بمحتوى الكتاب وهو مُهدى إلى العجوز الذي رأيتُ صورته على إحدى مواقع التّواصل الاجتماعي فحفظتها في هاتفي المحمول وأخذتُ أتأملها وأتفحصُ تفاصيلها باهتمامٍ مُبالغٍ حيثُ لم تكن لتُفارقَ ذاكرتي أبداً، لهذا أردتُ أن أكتبَ عنه لتُخلدَ صورته في هذا الكتاب على شكلِ كلماتٍ لا تُمحي على الإطلاق ..!

وعنوانُ هذا النصّ مُستوحى من رواية غسان كنفاني رحمه الله

" ما تبقى لكم " فما الذي تبقى لنا يا غسان ؟

دعني أُجيبُ عن هذا السّؤال من خلالِ هذا النصّ ...

أعلمُ أنّ كلماتي لن تصلك ولن تقرأها ولن يقرأها أحدٌ لك، ومع ذلك

أكتبُ عنك أيّها العجوزُ البائس ..

إلى من كان يتكئ على ألمه .. إليك أهدي هذا النصّ ...!

ما تبقى لنا

بدا مُتَجَهِّماً وكئيِباً وحزيناً وكيفَ يكونُ غيرَ ذلكَ والحياةُ القاسيةُ
قضمتُ بهجته وسعادته وراحةِ بالهِ ؟ كانتُ عيناهُ الذَّابِلَتينِ شِبهُ
مفتوحة لا تنظرانِ إلى شَيْءٍ فقد فقدتُ مُنذُ سنواتٍ بريقها كما فقدتُ
معهُ أيضاً انبهارها بالأشياء؛ حيثُ لم يَعُدْ هناكَ ما يُثيرُ دهشتها !
وبدتُ التَّجاعيدُ التي في وجههٍ مثلَ طُرقاتٍ مُتعرِّجةٍ وكأنَّها تحكي
حكاياتٍ طويلةٍ عن زمنٍ جميلٍ قد مضى !
جلسَ على كُرسيٍّ صغيرٍ تحتَ جسرٍ في أحدِ شوارعِ دمشق، وأسندَ
رأسهُ الذي اشتعلَ بالشَّيبِ مثلَ نارٍ لا ترحم، على مقبضِ العربةِ
واضعاً كلتا يديهِ فوقَ بعضهما وقد تدلَّى كيسٌ كبيرٌ من معصمِ يدهِ
بداخلهِ أكياساً صغيرة، يضعُ فيها الكعكُ الذي يبيعه للمارّة .
لقد توقَّفَ مُنذُ مُدَّةٍ طويلةٍ عن المُنادةِ والصَّياحِ بأعلى صوتهِ ليجلبَ
الزبائنُ : " كعكاً .. كعكاً .. هيا تعالِ واشترِ الكعكُ .. "

أترأه إلى أيّ درجةٍ وصلَ من اللامبالاة ؟ حتّى لم يعد يكثرث إن أتى
أحدهم أو لم يأتٍ لشراء الكعك منه ! ثمّ ألا يفكرُ بأولاده الذين
ينتظروه في المنزل ليأتي إليهم بطعامٍ يُسكتوا فيه جوعَ معدتهم !

وإن لم يحضره في المساء سينامون جائعين !

ماذا فعلتُ الأيامُ به حتّى أصبح لا مُبالياً ؟

ما الذي بقي له بعد سنيّ العمر الطويلة هذه ؟ وما الذي تبقى لنا ؟

الخيبة ! أيّة خيبةٍ هذه ؟ إنّها خيبةُ الآمالِ والأحلامِ والأيامِ والعمرِ

بأكمله، خيبةٌ في جميع مناحي الحياة ..!

أكتنا نستحقُّ هذه الخيبة وهذا البؤس ؟ ربّما !

لقد خذلتنا الحياة وضحكتُ علينا ونحنُ لم نكن سوى الطّرف

الخاسر وهي الطّرفُ المنتصر، ثمّ إنّنا نُحبِّدُ دوماً أن نلعبَ دورَ

الضّحية والمُجني عليه والمظلوم والمهزوم، وكلّ معاني الضّعف

والحياة تأخذُ دائماً دور القاتل والجاني والظّالم والرابح وكلّ معاني

القوّة ..!

الخيبة، الخُذلان، المزيدُ من البؤس ...

هذا ما جنيناه بعد كلِّ تلك السَّنوات التي عشناها ...

وهذا ما تبقى لنا يا غسان ...

□□□□□□

إلى متى ..؟

إلى متى ..؟ سؤالٌ عصيُّ الجواب ..!

إلى متى سنبقى قابعينَ في وحدتنا ؟

إلى متى ستبقى ذاكرتنا في صراعٍ مع النسيان ؟

إلى متى سنبقى نرثي عزيزاً فارقنا ؟

إلى متى ستبقى كلماتنا مُختبئةً خلف صمتنا ؟

إلى متى سيبقى الخوفُ يُطارِدُ طُمأنينتنا ؟

إلى متى ستبقى حياتنا قيدُ الانتظار ؟

إلى متى ستظلُّ أحلامنا مُوجَّلةً ؟

إلى متى سيظلُّ الشوقُ يفتكُ بنا ؟

إلى متى ستظلُّ قصصُ الحبِّ تنتهي بحُزنٍ ودموعٍ كثيرة؟

إلى متى سنبقى نبحثُ عن سعادتنا الضائعة؟

إلى متى تُذرفُ الدَّموعُ؟

إلى متى ستبقى هذه الأسئلة تبحثُ عن أجوبتها؟

إلى متى سنبقى نسألُ إلى متى.....؟

□□□□□□

وفي المحتام . . . إليك أيها القارئ . . .

ربّما في أثناء قراءتك لصفحات هذا الكتاب، لامست بعض الجمل أو الكلمات حنايا قلبك فأثارت فيه الألم واسترجعت حينها ذكري مؤلمة، وإن فعلاً حصل هذا؛ المَعذرة! فلم أكن أتعمد إثارة الألم في داخلك وإنما أردت كتابته ووصفه، علّ ذلك يُخفّف عنك حينما تقرأ كلماتي التي تُعبّر عن ألمك!

وإن تساءلت .. "لم تبدو عناوين النصوص حزينة؟"

هل لأنّ الكاتب حزين؟ وأنا أقول لك وأجيب عن سؤالك قبل أن

يُطرح، بل لأنّ قراءه حزينون! وكيف عرفت هذا؟

فهل يوجد كاتب لا يعرف قراءه؟!!

وأخيراً .. أمل أن يكون هذا الكتاب الذي لا يعدو كونه تجربة وخطوة

أولى أخطوها في عالم الكتابة؛ أن تكون ناجحة!

لأنّ من يُحدّد نجاح كتاب ما قراءه وليس كاتبه .. والسّلام

تمَّ هذا بعونِ الله .

فهرس الكتاب

٨.....	سيمفونية الليل
١٢.....	عن شعور الوحدة
١٦.....	عن الذاكرة والنسيان
١٩.....	عن مرارة فقد
٢٢.....	عن الصمت وأبجدية العينين
٢٦.....	عن الخوف والطمأنينة
٣٠.....	عن الانتظار وموت اللفهه
٣٣.....	عن الأحلام المؤجلة
٣٥.....	عن الجوى والنجوى
٣٨.....	عن النهايات الحزينة
٤٢.....	عن السعادة الضائعة
٤٤.....	عندما تمطر دمعاً
٤٧.....	أن تكون اللا شيء
٥١.....	البحث عن الذات
٥٤.....	ما تبقى لنا
٥٧.....	إلى متى ؟

أحاديثٌ ليليَّةٌ هي التَّجربة الثَّالثة لي في عالمِ الكتابة بعد (لم يكن حُبًّا) و
(أنقذني) التي كتبْتُها في السَّادسةِ عشرةَ من عُمرِي وعدتُ الآن لأكتب
وأحاول من جديد وأتعلَّم الكثير في أثناءِ الكتابة .

أُيُّها القارئُ المجهولُ سيقعُ هذا الكتابُ مُصادفةً بين يديكَ ربَّما لإثِّك
شاهدته في إحدى مواقعِ الكتبِ الإلكترونيَّةِ وفضولك دفعك لقراءته أو ربَّما
رَشَّحهُ لك أحدُ الأصدقاءِ لإثِّه نالَ إعجابهُ ! على أيَّة حال ستجدُ في صفحاتِهِ
نصوصاً عدَّة تتحدَّثُ عن أمورٍ تشغلُ حيزاً من تفكيرِ أغلبنا وتمسُّ مشاعرنا،
مثل 'شعور الوحدة' 'الذَّاكرة والتَّسيان' 'مرارة الفقد' 'الجوى والتَّجوى' 'الخوفُ
والطُّمأنينة' ومواضيعٌ أُخرى، سأقومُ بتجسيدها على شكلِ حوارٍ قصيرٍ يدورُ بين
نجمَةٍ وقمرٍ، وهذان الأخيران هما الشَّخصيتان الرئيستان والوحيدتان في هذا
الكتابِ واللَّتَان سترافقكَا حتَّى التَّهاية، فأملُ أن تأنسَ بصُحبتِهما كما أرجو أن
يتركَ هذا الكتابُ أثراً طيباً بداخلك !..

آية فائز زينو